# التأشير في الخطاب الحائد / دراسة في ضوء النظرية التداولية

م.م.جاسم خيري حيدر

مديرية تربية ميسان

**الخلاصة(Abstract):**

يتناول هذا البحث التأشير في الخطاب الحائد ،وهو شكل خطابيّ ظهر في التراث العربي ،يتميز بالانحراف عن الصياغة الطبيعية ، ونهدف من خلاله إلى بيان الأثر الذي يتركه التأشير في تكوين هذا الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الحائد، التأشير،الخطاب.

:Abstract

This research deals with reference in the Alha'iddiscource, a form of the letters appeared in the Arab heritage, characterized by deviation from normal drafting, and aims to impact statement left by pointing in the formation of this letter.

.Key words: Alhaid, pointing, discourse

## ١- مدخل (Introduction):

يستعملللفظ (الحائد) فيالتراثالعربي،وهواسمفاعلمن (الحَيْدة)،لوصفالكلام الذي يتميز بالميل عن المطابقةبين الجواب وما تقدمه من كلام ،أويستعمل للدلالة على المتكلمالذي يميل بالكلام باتجاه عدم المطابقة [١]،ويمكنالقولإن (الحَيْدَة) ظاهرةغامضةفيالعربيةلميجروصفهابمايكشفعنملامحها، وقد عرفها ابن أبي الاصبع (ت ٦٥٤هـ) بقوله : " وهوأنيجيبالمسؤولبجوابلايصلحأنيكونجواباًعماسئلعنه" [٢]،وهو تعريف

(١) ينظر مثلًا: مداركالتنزيلوحقائقالتأويل : ٢/ ٥٥٩،و الهدايةإلىبلوغالنهاية : ٨/ ٥٣١٥- ٥٣١٦

(٢)تحريرالتحبير:٥٦٥ و بديع القران: ٢٨٠

فضفاض عام لا يكاد يبين معالمها، وقد يريد به أن الحيدة انحراف بالكلام عن الوجه الطبيعي له، فيكون اختيار طريق عدم الملاءمة أو عدم المطابقة بين السؤال والجواب او الكلام اللاحق للسابق.

وسنحاول من جانبنا الكشف عنها من خلال مفهوم تداولي هو (التأشير)،ويتعلق بمسألةما يريده المتكلمعنداستعمالهتعبيرًاما،أو عندمايختاراستعمال بعضالكيانات. هذهالمسألةتضم مجموعة منالقضاياالفرعيةالمتعلقةبالمراجعفيمختلفالعوالمالممكنة، والقضايا الرئيسة التي تعرض للمناقشة أو تعد مهمة هي: (التعابير الإشارية)،و (الإشاريات)،و(المرجعية العائدية)[٣].

يستعمل مصطلح التأشير (reference) للدلالة على عملية واسعة تستند في جزء كبير منها إلى جوانب لغوية وقد تستعين بجوانب غير لغوية لتحديد مرجع معين من بين مراجع عدة محتملة ،ونظرًا لأن اللغة تعد غير كافية لتحديد هذا المرجع فيعد التأشير وثيق الصلة بالجانب التداولي [٤] .

يمكن تعريف التأشير (reference) على أنه ذلك الفعل الذي يقوم به متكلّم،أَوكاتب من استعمال أشكال لغويةمعينة لتَمكينمستمع،أَوقارئ،من تَمييزشيء معين، وتسمى هذه الصيغ اللغوية التعابير الإشارية أو المرجعية(referring expression)[٥].

## ٢- التعابير الإشارية(referring expression):

تتضمن التعابير الإشارية أسماء العلم مثل:(محمد، زيد) ،والعبارات الإسمية المحددة أو المعرفة مثل: (الكاتب، الجزيرة)،وغير المحددة أو النكرة مثل: (رجل، امرأة)،والضمائر مثل: (هو، هي، هم)،ويعتمد اختيار تعبير معين على ما يفترضه المتكلم من معرفة المستمع للشيء المشار إليه ؛فقد تكون الضمائر أو أسماء الاشارة وافية مثل: (خذ هذا)،و (انظر إليه)، وقد يتطلب الأمر عندما لا ينجح ما سبق التحديد باستعمال عبارات إسمية أوسع مثل: (هل تذكر الرجل صاحب القبعة؟)؛فالأمر يتعلق بأهداف المتكلم ومعتقداته [٦].

فاستعمالنا للإشارة يعتمد على ظروف القول التي تحدد مدى فاعلية الطريقة المستعملة، وإذا كان من أهداف المتكلم الحيدةفمما لاشك فيه أن المتكلم سيضع حسابًا لها عند التأشير، كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال ١): "قالعبداللهبنالعباسلأميرالمؤمنينعليهاالسلام:

---

(٣) ينظر: .p.110Birner. B. J. (2013) Introduction to Pragmatics
(٤) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ١٥٩
(٥) ينظر: التداولية، يول: ٣٩
(٦) ينظر: التداولية، يول: ٣٩-٤٠

اجعلنيمععمروبنالعاص،فلعمريلأعقدنّلهحبلًالاينقطعوسطه،ولاينتهيطرفه،فقاللهعليّعليهاالسلام: لستَمنمكرهومنمكرمعاويةفيشيء،فقال: واللهلاتزالحتيُغلبحقّكبالباطل" [٧]، فهناك إشارة بالعلم (عمروبنالعاص)،و (معاوية)،والضمائر من مثل: التاء في(لستَ)،والهاء في (مكره)،ونجد أن الحيدة في قوله: (لستَمنمكرهومنمكرمعاويةفيشيء)،وهي تقوم بآلية الامتناع، وقد ساهم التأشير في تشكيلها، ويبدو أن ظروف القول هي التي تحكمت في اختيار نوع التأشير الذي يظهر فيه هنا التأكيد على الأعلام.

تعد أسماء الأعلام ، وهي الأسماء التي تعود إلى شخص ما أو شيء ما ، مثالًا على الأسماء ذات المرجع المباشر ؛فهي تشير إلى شخص معين أو كيان من غير وساطة، مثال ذلك : (سيبويه) فهو يشير إلى ذلك العالم النحوي المعروف، ويمكن استعمال أيًّا من صفاته للإشارة أيضًا كاستعمال الوصف: (صاحب الكتاب)،وشرط الوصف أن يكون خاصًّا به أو هو وصف محدد ؛فاستعمال وصف من مثل: (تلميذ الخليل) قد لا يفي بالغرض؛ لأن تلامذة الخليل كثر وإن كان سيبويه أشهرهم [٨] .

فيمكن استعمال اسم العلم فتكون الإشارة مباشرة أو يمكن الاستعانة بوصف ملازم للشيء يؤدي الدور ذاته ،وللمقام دور حاسم في بعض الأحيان يحدد الاختيار كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال٢): "قيللحجاج: منأخطبالناس؟قال: صاحبالعمامةالسوداءبينأخصاصالبصرة. يعنيالحسن" [٩] .

فقد استعمل الوصف(صاحب العمامة السوداء) في هذا المقام ؛لأنه يشير إلى المرجع بصورة ناجحة ،ولا يعني ذلك أن استعمال اسم العلم (الحسن) لا يؤدي المطلوب في الإشارة، ولكن الأمر لا يتعلق بالإشارة فقط وإنما بما يريد المتكلم إيصاله زيادة عليها كبيان أن المرجع لا يخفى على أحد لشهرته بدليل الاستدلال عليه من الوصف فقط، والنص المصاحب (بين أخصاص البصرة) يساعد على ذلك أيضًا ويمنع إبهام الوصف، وتبدو الحيدة في تجنب الإشارة باسم العلم والالتجاء للوصف والنص المصاحب، وعلى ذلك فهي تقوم بآلية الإخفاء.

يرى (سيرل) في التعابير المرجعية أو الإشارية أعمالًا لغوية لا عناصر نحوية، فالعبارة المرجعية هي عمل تعيين شيء غير علامي(شيء ملموس)،لا يعينه آليًّا مركب اسمي(معرفة)،فهو يفرق بين التأشير والإسناد أو الحمل من مثل قولهم: (جاء رجل) فهو قول مرجعي؛ لأن لفظ (رجل) يحيل على مرجع أو عنصر خارجي، بينما في قولهم: (زيد رجل) ليس هناك تأشير ؛لأن لفظ (رجل) لا يعين عنصرًا خارجيًّا إنما يسند إلى زيد صفة معينة ،وينبه (سيرل) إلى أن قولنا: (عبارة مرجعية) يجب أن لا

---

([٧])البصائر والذخائر: ١٢٣/٧

([٨]) ينظر: Jacob L. Mey (2001) Pragmatics: An Introduction 2nd edition, p.53

([٩]) البيان والتبيين: ٢٨٦/٢

يفهم منه أن هذه العبارة تحيل بنفسها على شيء، وإنما هي أعمال لغوية كما ذكرنا يقوم بها متكلم [١٠] .

فتبدو أهمية العناصر الإشارية من خلال ارتباطها بمراجعها لا من خلال ارتباطها بالوحدات اللغوية الأخرى، فهي تكتسب قيمتها من خلال هذا الارتباط، كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال٣): "دخلبعضالهاشميينعلىأبيجعفر،فسلمعليه. فقاللهأبوجعفر: كيفالمولود؟قال: فيعافية. قال: كمله؟قال: سبعةأيام. قال: فقالمتطببأبيجعفر: كيفعقله؟قال: أماسمعتنيقلتلأميرالمؤمنين: إنمالهسبعةأيام؟قالالطبيب:إنالمولودإذاكانحادالنظرقليلالبكاءكانعاقلًا" [١١] ،فالعبارة الاسمية(المولود) في بداية الخطاب استعملت لتؤشر شيئًا معينًا ساهم السياق في تعيينه، بينما في الجواب الحائد : (إنالمولودإذاكانحادالنظر...الخ) لم تستعمل لتعيين مرجع محتمل، وإنما هو تعبير اسنادي، فالتعبير الاسمي (المولود)،هو تعبير عام، وقد استندت الحيدة على هذا العموم مما يجعل العدول عن التأشير هنا ذا فعالية كبيرة في تشكيلها.

ولا يختلف الحال عند استعمال تعبير اسمي غير محدد (نكرة) لتحديد كيان موجود حاضر كما يقال: (يوجد رجل بانتظارك)،أو كيان يفترض وجوده ولكنه مجهول كما يقال: (يود الزواج بامرأة ثرية)،فيمكن أن يكون هذا الوصف يمثل كيانًا معروفًا للمتكلم من حيث الخصائص الوصفية فقط بحيث يمكن استبداله بتعبير (أية امرأة)،فلهذا فهو استعمال وصفي(attributive) وليس مرجعيًّا(referential) كما هو الحال عندما تكون هناك امرأة محددة في ذهن المتكلم، ولكنه آثر هذا الاستعمال لإثارة السامع ولظنه أنه أهم عنده من معرفة اسمها،ويمكن الوصول إلى تمييز مشابه باستعمال عبارات اسمية محددة(معرفة) (ليس هناك أثر للقاتل) فهو استعمال وصفي حين لا يكون هناك مرجع محدد ،ويكون هذا التعبير مرجعي حين يكون هناك تحديد لشخص ما قام بعملية القتل وقد يكون الكيان غير موجود على حد علمنا ولكنه يتطلب من السامع تحديده كما في الشخصيات الخيالية كـ(العنقاء). [١٢] .

فالتعبير سواء كان محددًا أو غير محدد قد يكون له استعمالان مختلفان في التأشير؛فالاستعمال المرجعي حين يراد به تحديد مرجع معين من بين مراجع محتملة ووصفي إذا كان بخلاف ذلك، كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال٤): "عُرِضعلىأبيمسلمصاحبالدعوةفرسجواد،فقاللقوّاده:

---

(١٠) ينظر: التداولية من اوستن الى غوفمان: ١٢٠-١٢١

(١١)نثر الدر: ٢١٤/٧

(١٢) ينظر: التداولية، يول: ٤١-٤٢

لماذايصلحمثلهذاالفرس؟قالوا: إنانغزوعليهالعدو. قال: لا،ولكنيركبهالرجلفيهربعليهمنجارالسّوء " [١٣] ،فقوله (الفرس) تعبير يعين فرسًا محددًا فهو تعبير مرجعي، والتعبير (العدو) هو تعبير وصفي؛ لأنه لا يراد به عدوٌّ بعينه وإن أريد به معيّنٌ كان مرجعيًّا، وكذا (الرجل)،و(جار السوء) هو تعبير وصفي، فلم يُعيَّن بهما شخص بعينه، وإنما يصلح لهما أن يقال: (أي رجل)و (أي جار سوء)،والحيدة في قوله: (ولكنيركبهالرجل...الخ)،وهي تقوم على المعرضة أي معارضة الجواب بجواب آخر ناقض، وهي آلية منطقية.

فلنجاح التأشير لا بد على الأقل من وجود بعض المعتقدات المشتركة بين طرفي الحوار بشأن المرجع، وهو الحد الأدنى المطلوب مع المرجعية الخيالية، وتبدو الأمور أسهل عند الاختلاف على بعض خصائص المرجع، كما في الخطاب الآتي(مثال٥): " وتحدثواعنعمروبنمعديكربأنهكانمعروفًابالكذب[...]فوقفعمروبنمعديكرب،وخالدبنالصقعبالنهديوأقبلعمرويحدثهم فقال:

أغرنا علىبنينهد ،فخرجوامستغيثينبخالدبنالصقعبي ؛فحملتعليه ؛فطعنته ؛فأذريتهثمملتعليهبالصمصامةفأخذترأسه. فقالخالد: خلاأباثور ،إنقتيلكهوالمُحَدث. فقال: ياهذاإذاحُدثتفاسمع،فإنمايُتحدثبمثلهذالنرهببها لأعداء " [١٤] .

فالاختلاف هنا بشأن بعض الخصائص المنسوبة للمرجع ،وليس بشأن وجوده،وتبدو الحيدة في قوله أولًا: (خلاأباثور ،إنقتيلكهوالمُحَدث)،وهي تقوم بآلية منطقية(المناقضة أو النقض)،ولا يخفى صلة التأشير بها، وهناك حيدة أخرى في قوله:(ياهذاإذاحُدثتفاسمع...الخ)،وهي تقوم على التعليق.

بعض مما ذكر قبل قليل يتناول مسألة مهمة وهي وجود تعبيرإشاري مع عدم وجودمرجع معين في بعض الحالات،وهناكبعضالمحتوياتغيرالواضحةبشكلقاطعكالنظرفيأسماءالشخصيات الخيالية كشخصية (السندباد) مثلًا. فنحنبحاجةإلىتمييزحالاتالمرجعيةالخياليةمنفشل المرجعية ،وهناك عدة مقترحات في هذا المجال من ذلك مقترح (هنتيكا)(Hintikka) الذي يأخذنهجًاقائمًاعلىنظرية العوالمالممكنة ( possible worlds)،ويشيرإلىأنالشخصيات الخياليةيمكنالعثورعليهاككائنات، ولكنفيعوالمأخربممكنةمنعاداتناوتقاليدنا ؛لذلكعندمانقومبالإشارةإليهم،فنحننقومبذلكفيتلكالعوالمفيحالوجودها [١٥] .

---

(١٣) العقد الفريد: ١٨٦/٢

(١٤) نثر الدر: ٣٤٢/٦

(١٥) ينظر: R. Horn and Gregory L. Ward(2006), (eds) : Handbook of Pragmatics,p.95

فالتعابير الإشارية في الخيالات والأحلام والأساطير تتميز بعدم الوضوح وعلى رأي بعض الباحثين هي إشارية ما دامت تشير إلى شيء في عالم ممكن محتمل ،والأخذ بها يتأتى من كونها جزءًا من عاداتنا وتقاليدنا ،أو بمعنى آخر هي جزء من العالم الذي نعيشه كما يتضح في الخطاب الحائد الآتي(مثال٦): "جاءرجلإلىمعبر،فقال: رأيتفيالمنامكأني–هوذا – أقلبعرالجملعلىمقلاة. قالالمعبر: هاتقطعةحتىأعبرهالك. قال: لوكانتمعيقطعةكنتاشتريتباذنجانوأقليهولاأقلىالبعر "[١٦].

فالتعبير الإشاري(بعر الجمل) مرجعه غير حاصل عند الرجل وقد جعله أكثر واقعية من وجود غيره الذي استبعد لصعوبة الحصول عليه، وهو يؤكد الارتباط بالواقع، وقد استندت الحيدة في قوله: (لوكانتمعيقطعة...الخ)،على إسناد المراجع والمناقضة التي تقوم على التعليق، أي إن الأمر غير ممكن لتعلقه بوجود القطعة(المال).

### ٣- التأشير والاستدلال(reference &inference):

تظهر أهمية الاستدلال(inference) والحاجة إليه؛ لانعدام العلاقة بين الكيانات والكلمات، وهو دور يقوم به المستمع، وليس على المتكلم معرفة أي اسم يكون أفضل أو أكثر موضوعية من غيره للإشارة على الشيء ،فالأمر يعتمد على اختيار محلي ناجح، وعلى التعاون والقدرة من الطرفين على معرفة ما يجول في بال الآخر؛ ولهذا فقد يختار الناس تعابير غامضة كأن يقال: (الشيء الأزرق) أو قد يقومون باختراع تسميات غريبة كأن يشار إلى رجل اسمه (منيع بن ثابت)فيقال: (رجل الأقفال قادم) [١٧].

فالغموض قد يكون سببه عدم معرفة ما يجول في بال الآخر، كأن يجهل المستمع ما يجول في بال المتكلم ،وعليه لا بد من توقع أن يكون هناك حاجة إلى الإيضاح عند عدم ظهور المرجع المقصود كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال٧): "قالرجللآخر: مرحبًابأبيالمنذر،فقال: ليستهذهكنيتي،فقال: نعم،ولكنهاكنيةمسيلمة. يعرضبأنهكذاب" [١٨] ،فعدم قدرة المستمع على الاستدلال والوصول إلى مرجع(أبي المنذر) أدى إلى عدم فهمه للمراد واستلزم الإيضاح ،وقد قامت الحيدة في قوله: (نعم،ولكنهاكنيةمسيلمة) على آلية مطلقة، وشارك الإخفاء في جزء منها، وهو ما يبين أهمية التأشير الغامض منذ البداية في تكوينها.

---

(١٦) نثر الدر: ١٣٠/٧
(١٧) ينظر: التداولية، يول: ٤٠
(١٨) نثر الدر: ١١٣/٧

ومن الأمثلة على اختراع التسميات التي تحيل على مرجع معين يفترض به الملاءمة على الرغم مما فيه من غرابة الخطاب الحائد الآتي(مثال٨):

"كانأبوحازممنالمشهورينفيالزهدوالنسك،وكانيجلسفيالمسجدالحرام،وكانالنساءيمررنعلىالنوقفيالهوادج،فكانإذامر تالحسناءالبارعةقالمنحضرمنالقرشيين: بارقة، وإذامرتقبيحةسكتوا،فمرتبهميوماقبيحةوسكتوا،فقالأبوحازم: صاعقة! فتعجبوامنذلكمعزهده" [١٩] ،فيتضح في قوله:(صاعقة) الإشارة على المرأة القبيحة، وكان اختراعًا منه، والحيدة تشكلت من هذا الاختراع واستندت إلى آلية الإخفاء.

إن عملية الاستدلال التي يقوم بها عادة المرسل إليه لإسناد المراجع ، قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، في الحالة الأولى يتوافر لدينا أسماء يمكن أن تقودنا للتعرف إلى الأشخاص أو الأشياء كأن نعرف من هو (زيد)،وما الذي يدل عليه معنى: (شرطي المرور) مثلًا، ولكن في الحالة غير المباشرة نحتاج إلى الاستعانة بوسائل لغوية وأخرى غير لغوية للوصول إلى المرجع الصحيح،ومثال ذلك أنيعرّف أحدهم بنفسه من وراء باب بقوله: (إنه أنا) فلا يتبين مرجع الضمير (أنا) هكذا من غير مواجهة، فتسأله: (من "أنا"؟) ،وعندما يكون الجواب: (أخو زيد)،ويكون (زيد) من الاسماء المعروفة لديك فعندها يمكن الاستدلال على المرجع ،وكذا في حالة التعرف على الصوت، وقد يحتاج في بعض الحالات الأخرى إلى وثيقة أو شيء آخر يثبت المرجع [٢٠] .

فيمكن الاستدلال في بعض الأحيان عن طريق بعض الأوصاف التي قد تعين في الوصول إلى المرجع بطريقة تراتبية، كما في الخطاب الآتي(مثال٩):

"خرجأبوالعباسأميرالمؤمنينمتنزّهابالأنبار ،فأمعنفينزهتهوانتبذمنأصحابه،فوافىخباءلأعرابي؛فقاللهالأعرابي: ممنالرجل؟قال: منكنانة. قال: منأيّكنانة؟قال: منأبغضكنانةإلىكنانة. قال: فأنتإذًامنقريش؟قال: نعم. قال: فمنأيّقريش؟قال: منأبغضقريشإلىقريش. قال: فأنتإذًامنولدعبدالمطلب؟قال: نعم. قال: فمنأيولدعبدالمطلبأنت؟ قال: منأبغضولدعبدالمطلبإلىولدعبدالمطلب. قال: فأنتإذًاأميرالمؤمنين! السلامعليكياأميرالمؤمنينورحمةاللهوبركاته "[٢١].

فالوصف الذي تشكلت منه الحيدة تم بطريقة تراتبية، وقد أمكن بهذه الطريقة وعبر مراحل متعددة الوصول إلى المرجع المطلوب ،وتظهر الحيدة وقد سلك بها طريق الإخفاء؛ فقد كان يمكن ببساطة ذكر المرجع منذ البداية.

---

([١٩]) المصدر نفسه:١١٢/٢

([٢٠]) ينظر: Jacob L. Mey (2001) Pragmatics: An Introduction 2nd edition, p.52-53

([٢١]) العقد الفريد: ١٧٧/٢

يمكن الجزم بوجود ما تسهم به اللسانيات في فك الشفرة اللغوية للتعابيرالإشارية، فهي توفر تأويلًا دلاليًّا إلا أن هذا الدور يختلف من حيث الأهمية والنوع باختلاف التعابير الإشارية نفسها فالأوصاف المحددة وغير المحددة مثل: (القط الأسود) و (قط أسود) ذات دلالة معجمية، أما التعابير الاشارية أو الإيمائية والعوائد فإنها ذات دلالة إجرائية، وتبقى مسألة الأعلام معلقة؛ إذ لا يتوافر أي وصف لساني لها ،أو هي لا تدل على شيء حسب الرؤية النظرية التي وضعها (كريبك) [٢٢] .

فالعناصر الإشارية لا تشير إلى الشيء في الخارج من غير دليل يوجه هذه الإشارة؛ فيملك بعضها المادة اللغوية التي تساعد على ذلك ،أو هي بطبيعتها تملك ما يساعد على تقليل الاحتمالات الممكنة للمرجع المقصود، ومنه يتضح الفرق بين التعابير الوصفية والإشاريات(deixis) ، ولكن المشكل يظهر عند الإخفاق المعجمي كما يحدث في حالات الاشتراك اللغويمما يستدعي الحيدة لحل الإشكال، ويتضح ذلك في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٠):"دخلشريحعلىبعضالأمراء،فقالالأمير: ياجارية،هاتيعودًا. فجاءتهبعوديضرب. فلمابصربهاالأميرخجل،وقال: نعمهذاأخذالبارحةمعإنسانفيالطوف. اكسروه. ثمصبرقليلًا،وقال: ياجارية. هاتيعودًاللبخور. فقالشريح: أتخافأنتغلطمرةثانية؟"[٢٣] ،فلم تسهم المادة اللغوية في بداية الأمر في تعيين المرجع لوجود الاشتراك، وتطلب الأمر الحيدة في قوله: (نعمهذاأخذالبارحة...الخ)،ويمكن عدها بآلية الإخفاء(المواربة)،ومنه يتبين سبب استعمال الوصف غير المحدد بعد ذلك في قوله: (عودًا للبخور)،فهو وإن لم يعين مرجعًا وحيدًا غير أنه ألغى الاشتراك.

وتسهم المادة اللغوية بطريقة أخرى في تفسير المرجعية أو تحديد المرجع ،وهذا الجانب هو النص المصاحب (co-text)،أو ما يسمى أحيانًا السياق اللغوي (linguistic context)،مثال ذلك : (البرازيل تفوز بكأس العالم)،و (اليابان تفوز بالجولة الأولى لمحادثات التجارة)،إذ يتبين لنا أن التعبير الإشاري (البرازيل) هو فريق كرة القدم ،بينما التعبير (اليابان) هو حكومة أو دولة، واستندت معرفتنا في تحديد المرجع على النص المصاحب وهو في الأولى (تفوز بكأس العالم)،والثانية (تفوزبالجولةالأوللمحادثاتالتجارة)،والعمل الذي يقوم به النص المصاحب هو أنه يقصر مدى تفسيراتنا الممكنة، فالأمر لا يتعلق اذًا بتحديدالمُحالعليهبوساطة التعبير الإشاري الذي يعمل على تعيين مدى المرجعية أي عدد المراجع المحتملة، وإنما على النص المصاحب [٢٤] .

---

([٢٢]) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ١٦٠
([٢٣]) نثر الدر: ٩١/٥
([٢٤]) ينظر: التداولية، يول :٤٤-٤٥

وتظهر أهمية النص المصاحب أو القرينة اللفظية في تحديد المرجع المقصود غير أن الاستعمال الإشاري الخاطئ قد يؤثر عليها كما يظهر في الخطاب الحائد الآتي الذي استند على تجاهل النص المصاحب(مثال١١):"جاءابنلجُديعبنعليوكانابنخاللبزيدبنالمهلب،فقاللبزيد: زوجنيبعضولدك. فقاللهعثمانبنالمفضل: زوجهابنكمخلدًا،فإنهإنماطلببعضالولدولميستثنشيئًا " [٢٥]، فيمكن الاستدلال على المرجع المقصود من دون الاستعانة بإشارة مادية أو إيماء؛ لوجود النص المصاحب(زوجني)،ولكن المتكلم استعمل مادة لغوية عامة تصلح لعدة مراجع ،وهو ما أدىإلى الخروج بالعموم إلى ما لا يصلح ؛فلفظة (بعض ولدك) عامة لا تعين المرجع فتشمل الذكور والإناث، وقد استغل هذا الجانب في تشكيل الحيدة بآلية التهكم.

ويؤكد بعض الباحثين (باخ)(Bach) على سبيل المثال علىأهمية المقاصد أو النوايا (intentions)التي هيليست جزءًامناللغةنفسها،ولكنهاخاصيةمنالمتحدثينوالمستمعينفيجعل الإشارة ناجحة،وهيليستلهاالأهميةذاتها التي تتمتع بها الدلالة، ولكن لها أهمية كبيرة وخاصة نوايا المتكلم؛فقد يكون لهاوحدهاالقدرة على تأمينالمرجع[٢٦].

فما يقصده المتكلم هو الأساس الذي يعين المرجع الحقيقي وقد يكون كشفه في بعض الأحيان محض صدفة ؛ فالتلاعب بالمرجع قد يكون من غرض المتكلم ونجاحه يعتمد على إيهام مرجع معين كما في تعيين مرجع (سحيم) في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٢): "قالأعرابيلعمربنالخطاب: ياأميرالمؤمنين،احملنيوسحيمًاعلىجمل. فقال: نشدتكاللهياأعرابي،أ سحيمهذازق؟قال: نعم. ثمقال: منلمينفعهظنّهلمينفعهيقينه" [٢٧] ،ويبدو الجواب الحائد: (أسحيمهذازق؟) ،وقد قام بالتعليق، وجيء به للإبهام المرجعي السابق فهو الذي فعل الحيدة.

ويدعم(دونلان) (Donnellan) هذهالفكرةالتي تعطي الأهمية للمقاصد علىالأقلجزئيًّافاستعمال الإشارةلايعتمدبشكلكبيرأومطلقًاعلىمحتوياتالعبارةالإسمية. وهذاالأمرأكثروضوحًافي الحالةالتييوجدفيها خطأفيالوصف،ومن ذلكأنتقول مثلًا: (هل ذلك الرجل الذي يحمل عصًاأستاذ التاريخ؟)فسواء كان يحمل عصًا، أو مضلة ،أو ليس رجلًا ،وإنما مجرد حجر كبير أو ما شاكل ذلك،

---

([٢٥]) البيان والتبيين: ٢٤١/٢

([٢٦]) ينظر: R. Horn and Gregory L. Ward(2006), (eds) : Handbook of Pragmatics,p.92

([٢٧]) العقد الفريد: ٣٠١/٢

فستكونإشارتيلذلكالرجلناجحة؛لأنالمستمعيفهم نوايايفي الإشارةإلىشيء ما،سواءكانمدركًالسوء الوصف أم لا، وخطأ الوصف يحدث فقط حين لا يكون هناك شيء على الإطلاق[٢٨] .

فتحديد المرجع يعتمد في بعض الأحيان على معرفة نوايا المتكلم ،وليس على المحتوى الدلالي، وهذا الأمر يستدعي إعمال الاستدلال من قبل المخاطَب ،فعليه في النهاية الوصول للمرجع المقصود ،كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٣): "قالابنأبيطاهرأيضًا: كنتمععليبنعبيدةيوماًونحنعندقيان،وحانوقتالظهرفبادرالناسالصلاة،والجاريةقاعدة،وهمافيحديثفأطالاحتنكادتالصلاةأنتفوت،هكذاقال،قالفقلت: يأأباالحسن،الصلاة،ونصبتعلىالإغراء،فقالعليّ: حتىتزولالشمس،أيحتىتقومالجارية" [٢٩] ،فقوله: (حتى تزول الشمس) قد يفهم منه أنها الشمس الحقيقية لوجود النص المصاحب(تزول)،ولكن المقام ومعرفة قصد المتكلم أو نواياه توضح أن المراد بـ(الشمس) هي الجارية ،فتتغير دلالة النص المصاحب إلى (تقوم) تبعًا لذلك ،ومنه يتبين أن الجواب الحائد قد بني على الاشتراك الدلالي أو المرجعي، وهو بآلية الإخفاء.

### ٤- المرجعية العائدية (anaphoric reference):

وجهةالنظرالتقليديةللمرجعية العائدية(anaphoric reference) تقوم علىمواصلة إشارةمحددةسلفًافيالنصعنطريقالإشارةمرةأخرىإلىهذا السابقالمحدد، وبالتالي،فإنهاتحافظعلىالتركيزالراهنمنالانتباه،وتكون وظيفتهاالرئيسةهياستمراريةالموضوع،ويمكن عدهاأداةلغوية؛لأنهاتساعد السامععلى متابعة (إدامة) التركيزالمحددسابقًا [٣٠]،أو بمعنى آخر هي عملية تفسير عنصر لغوي بالاستناد على وحدة لغوية سابقة، وقد ركزت البحوث في هذا المجال على الضمائر في الخطاب كما في قولهم: (جاء زيد إلى الغرفة وجلس)؛فالنظرية العائدية تركز على العلاقة بين (زيد) والضمير(هو) المستتر في (جلس)،وكذلك تنظر في الكيان الذي تشيرإليه هذه العناصر مشتركة [٣١] .

فالمرجعية العائدية هي إشارةإلى شيء محدد في النص أو الخطاب فينجم عن ذلك ربط الكلام بعضه ببعض، كما في الخطاب الحائد الآتي عن أحدهم(مثال١٤) : " كنتعندشيخمنأهلمرو ،وصبيٌّلهصغيريلعببينيديه،فقلتله،إماعابثًاوإماممتحنًا: أطعمنيمنخبزكم . قال:

---

([٢٨]) ينظر:Keith S. Donnellan. Sou&ce(1966) : The Philosophical Review, Vol. 75, No. 3 ,pp.295-296

([٢٩]) البصائر والذخائر: ١٥٠/٤

([٣٠]) ينظر: Wolfram Bublitz and Neal R. Norrick (eds.), Foundations of Pragmatics,p.355

([٣١]) ينظر: L. Mey, Jacob (Ed.)(2009): Concise Encyclopedia of PragmaticsElsevier, p.179

لاتريده،هومرّ . فقلت: فاسقنيمنمائكم.قال: لاتريده،هومالح . قلت: هاتِليمنكذاوكذاقال: لاتريده،هوكذاوكذا . إلىأنعددتأصنافًاكثيرة،كلذلكيمنعُنيهويبغّضهإليّ. فضحكأبوهوقال: ماذنبنا؟هذامنعلّمهماتسمع؟يعنيأنالبخلطبعفيهم،وفيأعراقهم،وطينتهم " [٣٢].

فالضمير (الهاء) في الجواب الحائد(لا تريده) التي تكرر واختلف عائده في كل مرة هو من باب المرجعية العائدية؛ لأنه يملك مفسرًا في النص ،والحيدة واضحة في جواب الصبي في كل مرة: (لا تريده هو كذا)،ويبدو أنها بنيت على أساس الآلية المطلقة، فكأنه قال له: كان ينبغي لك أن تسأل عن كون الماء والخبز صالحين قبل أن تطلبهما، ويمكن كذلك أن يكون بآلية الامتناع .

وقد ذكرنا أن المرجعية العائدية هي عملية استمرار بالتعريف الدقيق للكيان المشار إليه نفسه من قبل التعبير اللاحق غير أن الأمر ليس كذلك دائمًا خاصة حين يكون هناك تغير أو تأثير كما هو الحال في قولهم: (خذ حبة بطاطا وقشرها ثم ضعها في ماء بارد)؛فالهاء في (ضعها) تعود الى حبة البطاطا المقشرة[٣٣] .

فالمرجعية قد تستمر في التعريف بالشيء مع أنه قد يتغير من إشارة لأخرى ،ويبدو أن هذا يحدث حين يظل جوهر الشيء ثابتًا دون تغيير كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٥): " أُتِيهشامبعود،فقاللوليد: ماهذا؟قال: خشبيشققثميرقق،ثميلصقثمتعلقعليهأوتارفينطقفتضربالكرامرؤوسهابالحيطانسرورًابه. ومافيالمجلسأحدإلاوهويعلممنهماأعلمه،وأنتأولهمياأميرالمؤمنين " [٣٤] ،فالإشارات كلها تعود لما ذكر أوّلًا (الخشب) الذي تتغير حاله من إشارة لأخرى إلى أن يستوي مادة أخرى (عودًا)،وتبدو الحيدة في الجواب التفصيلي(الزيادة) غير المطلوب والتي استندت إلى الإحالات المتعددة.

ينتظر من المستمع في كثير من الأحيان الوصول إلى الاستدلال الملائم للعائديةحتى مع بعض الصعوبات كما هي الحال عند غياب التعبير اللغوي بالحذف وتسمى المرجعية عندئذ بالعائدية الصفرية(zero anaphora)،وكذا عندما لا تبدو التعابير العائدية مرتبطة بما يسبقها كما في قولهم: (اشتريت دارًا. المطبخ كبير بالفعل)،وقولهم: (جاءت الحافلة في موعدها ولكن لم يتوقف)،فيعتمد الأمر هنا على الاستدلال التلقائي الذي يقوم على معرفة مسبقة من أن للدار مطبخًا وللحافلة سائقًا على الرغم من عدم المطابقة في بعض الأحيان كما هو بين الضمير في (لكنه) و (الحافلة) في المثال الثاني،

---

([٣٢]) البخلاء: ١٨
([٣٣]) ينظر: التداولية، يول: ٤٧
([٣٤]) نثر الدر: ٤٥/٣:

وهو ما يؤكد أن المرجعية الناجحة لا تعتمد على علاقة حرفية أو نحوية صارمة بالنسبة للمشار إليه [٣٥].

فالعائد الصفري هو عائد محذوف يجري تقديره من قبل المخاطَب لوجوب الربط الإشاري كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٦): " وأتاه[يحيى بن خالد أتى ابنه جعفر]وهويبنيدارهالتيببغدادبقربالدور ،وإذاهميبيضونحيطانهافقال: اعلمأنكتغطّيالذهببالفضة،فقالجعفر: ليسفيكلّمكانيكونالذهبأنفعمنالفضة،ولكنهلتربعيبًا؟قال: نعم،مخالطتهادورالسّوقة" [٣٦]،فالتعبير(هل ترى عيبًا) يحتاج إلى تعيين المرجع ،وبما أن الكلام بشأن الدار فمن المنتظر أن يفهم المخاطب أن السؤال لا يتناول كل عيب ،وإنما ما يخص الدار فقط، وقد حذف هذا العائد (فيها)واعتمد على تأويل المخاطَب، والحيدة قامت على النقض والمعارضة أو الآلية المنطقية في قوله: (ليسفيكلّمكان...الخ).

والأمر عينه يحدث عند الاعتماد على الاستدلال التلقائي الذي يقوم على معلومات أولية أو بعض المعارف كما في الخطاب الحائد الآتي(مثال١٧):"قالرجلمنالعرب: رأيتالبارحةالجنةفيمنامي،فرأيتجميعمافيهامنالقصور ،فقلت: لمنهذه؟فقيللي: للعرب! قاللهرجلمنالموالي: أصعدتالغرف؟قال: لا. قال: تلكلنا "[٣٧]؛ فمرجع (الغرف) وإن كان يبدو غير مرتبط بما قبله، أو قد يشكل ربطه بالقصور أو بالجنة فإن المعول على المعارف الإسلامية التي تذكر أن في الجنة غرفًا لقوله تعالى: چ ژ ژ ڑ ڑ چ[العنكبوت: ٥٨]،والحيدة هنا في قوله: (أصعدتالغرف...الخ)،وهي تقوم على التعليق.

## ٥- النتائج الختامية(Conclusions):

سنعرض هنا بإيجاز لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

١- إناختيارنوعالتأشيريسهمبطريقةأوبأخرىفيتشكيلالحيدة،بمعنىآخريتدخلالسياقفياختيارالتأشيرالذييجعلمنالـ حيدةذاتفعاليةأكثرماداماتالحيدةمنقصدالمتكلم،ومنأهدافهالتيينويتحقيقها.

٢- قديكوناختيارنوعالتأشيرالأساسالذيتستندإليهالحيدةكمافياختيارالوصفبدلًامنالعلمالذييعيننوعالآليةوبالتالـ ييكونتأثيرالتأشيرمباشرًافيالحيدة،وقديكونهذاالاختيارليسلهأثرمباشرمنخلالالآلية،ولكنهيكونالباعثلهاكما

---

([٣٥]) ينظر: التداولية، يول: ٤٨
([٣٦]) عيون الأخبار: ٣١١/١
([٣٧]) العقد الفريد: ١٣٤/٤

يحدثمعالمرجعيةالخيالية،أوالوصفالكاذبللمرجع،كذلكعنداستعمالوصفغيرمحددومايثيرهمنإشكالاتبالاشتراكاللغويممايؤديإلىاللجوءللحيدةلحلالإشكال،

٣-

إنااللجوءإلىإبهامالمرجعأواختراعوصفمرجعييعدانمنالآلياتالتيتستندإليهاالحيدة،فآليةالإخفاءتقومفيكثيرمنالأحيانعلىهذاالإبهام،ممايؤكدصلةالتأشيربنوعالآليةمرةأخرى.

٤- إنالاختلافبينالعناصرالإشاريةمنناحيةالاستقلالالإشاريأوعدمهيسهمفيتفعيلالحيدةكمايحدثعنداستعمالتأشيرعائدي،وكذلكيسهمالتلاعبالمرجعفيتشكيلها.

## المصادر والمراجع:

أ-باللغة العربية:


١. البخلاء: الجاحظ(٢٥٥ هـ)، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط ٧(د.ت).
٢. بديع القرآن: ابن أبي الأصبع(ت ٦٥٤ هـ)، تحقيق : حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت).
٣. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي(ت.٤٠٠ هـ)،تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط ١،١٩٨٨ م.
٤. البيان والتبيين: الجاحظ(ت.٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧ ،١٩٩٨ م.
٥. تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع المصري(ت.٦٥٤ هـ)،تحقيق: د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، مصر (د.ت).
٦. التداولية :جورج يول، ترجمة د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان/دار الأمان، الرباط،ط١ ،٢٠١٠ م.
٧. التداولية من أوستن إلى غوفمان: فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط١ ،٢٠٠٧ م .
٨. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي(ت.٣٢٨ هـ)،تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٩٨٣ م.
٩. عيون الأخبار :ابنقتيبةالدينوري (ت. ٢٧٦ هـ)،تحقيق:لجنةبدارالكتبالمصرية، مطبعةدارالكتبالمصريةبالقاهرة، ط٢ ،١٩٩٦ م.

١٠. القاموس الموسوعي للتداولية: جاك مولر، آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الاساتذة والباحثين،دار سيانترا، تونس،ط٢ ، ٢٠١٠ م.
١١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبوالبركاتالنسفي (ت. ٧١٠هـ)،تحقيق: يوسفعليبديوي،دارالكلمالطيب،بيروت، ط١ ،١٩٩٨ م.
١٢. نثرالدرفيالمحاضرات: منصوربنالحسينالرازي،أبوسعدالآبى (ت. ٤٢١هـ)، تحقيق: خالدعبدالغنيمحفوظ ،دارالكتبالعلمية–بيروت، ط١ ،٢٠٠٤ م.
١٣. الهداية إلى بلوغ النهاية : كيبنأبيطالب(ت.٤٣٧ هـ)،مجموعةبحوثالكتابوالسنة – كليةالشريعةوالدراساتالإسلامية،جامعةالشارقة، ط١ ،٢٠٠٨ م.

ب- باللغة الإنكليزية:

1. Birner. B. J. (2013) Introduction to Pragmatics. Oxford: Wiley-Blackwell.
2. J. L. Mey, Jacob (Ed.)(2009): Concise Encyclopedia of Pragmatics Elsevier, Oxford .
3. Jacob L. Mey (2001) Pragmatics: An Introduction 2nd edition, Blackwell.
4. Keith S. Donnellan. Sou&ce (1966) : The Philosophical Review, Vol. 75, No3.
5. R. Horn and Gregory L. Ward(2006), (eds) : Handbook of Pragmatics.Oxford: Blackwell publishing.
6. Wolfram Bublitz and Neal R. Norrick (eds.)(2011), Foundations of Pragmatics. Berlin & Boston: Mouton de Gruyter.